(سورة النازعات)

{ وَٱلنَّازِعَاتِ غَرْقاً } { وَٱلنَّاشِطَاتِ نَشْطاً }

{ وَٱلسَّابِحَاتِ سَبْحاً } { فَٱلسَّابِقَاتِ سَبْقاً } { فَٱلْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً }

أقسم بالنفوس المشتقاة التي غلب عليها النزوع إلى جناب الحق، غريقة في بحر الشوق والمحبة التي تنشط من مقرّ النفس وأسر الطبيعة

أي: تخرج من قيود صفاتها وعلائق البدن كقوله: ثور ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد، أو من قولهم: نشط من عقاله.

والتي تسبح في بحار الصفات فتسبق إلى عين الذات ومقام الفناء في الوحدة فتدبر بالرجوع إلى الكثرة أمر الدعوة إلى الحق والهداية وأمر النظام في مقام التفصيل بعد الجمع، وبالكواكب السيارة التي تنزع من المشرق إلى المغرب مفرقة في سيرها إلى أقصى المغرب وتخرج من برج إلى برج وتسبح في أفلاكها فيسبق بعضها بعضاً في السير وتدبر أمر العالم فيما نيط بها وبسيرها، أو بالملائكة من النفوس الفلكية التي تنزع الأرواح البشرية من الأجساد إغراقاً في النزع من أقاصي البدن، أناملة وأظفاره، والتي تخرجها من الأبدان من قولهم: نشط الدلو من البئر، إذا أخرجها. والتي تسبح في جريها فيما أمرت به فتسبق إليه فتدبر المأمور به على الوجه الذي أمر به. والمقسم عليه محذوف كما ذكر غير مرة أي: لتبعثنّ.

{ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ } { تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ }
{ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ } { أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ }
{ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ }
{ أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً } { قَالُواْ تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ }
{ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ } { فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ }

ويدل عليه قوله: { يوم ترجف الراجفة } أي: تقع الواقعة التي ترجف لها أرض الجسد وجبال الأعضاء وهي النفخة الأولى أو وقت زهوق الروح { تتبعها الرادفة } أي: النفخة الثانية وهي الإحياء بالبعث.

{ قلوب يومئذ } أي: وقت وقوع الرجفة في حال النزع { واجفة } مضطربة { أبصارها خاشعة } ذليلة { يقولون } المحجوبون المنكرون البعث على سبيل الإنكار { أئنا لمردودون } في الطريقة الأولى من الحياة بعد صيرورتنا عظاماً بالية فنحن إذاً خاسرون إن صح ذلك { فإنما هي } أي: الرادفة التي هي الرجفة إلى الحياة بالبعث { زجرة } أي: صيحة { واحدة } هي تأثير الروح الإسرافيلي في تعلق هذه الروح المفارقة بالمادة القابلة لها دفعة فتحيا وذلك يوم القيامة الصغرى. { فإذا هم } أي: فاجؤوا الحصول { بالساهرة } وقت هذه النفخة

أي: النفخ والكون بالساهرة في آن واحد، والساهرة أرض بيضاء مستوية أي: عالم الروح الإنساني المفارق الغير الكامل، فإنها أرض بالنسبة إلى اسماء عالم القدس الذي هو مأوى الكمل، سميت بالساهرة لنوريتها وبساطتها أو الروح الحيواني لاتصال الأرواح الإنسية الناقصة بها عند البعث فتلبثها بها ضرورة انجاذبها إلى المادة ويمكن أن يكون إشارة إلى المحل الذي تتصل به الروح عند البعث لبياضه واستواء أجزائه.

{ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ }
{ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى }
{ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ }
{ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ }

{ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ } { فَأَرَاهُ ٱلآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ }
{ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ } { ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ }
{ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ } { فَقَالَ أَنَاْ رَبُّكُمُ ٱلأَعْلَىٰ }
{ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلآخِرَةِ وَٱلأُوْلَىٰ }
{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ }
{ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَاهَا }
{ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا }
{ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا }
{ وَٱلأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا }
{ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا }
{ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَاهَا } { مَتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ }

{ إذ ناداه ربّه بالواد المقدس } الوادي المقدّس هو عالم الروح المجرّد لتقدّسه عن التعلق بالمواد واسمه { طوى } لانطواء الموجودات كلها من الأجسام والنفوس تحته وفي طيه وقهره وهو عالم الصفات ومقام المكالمة من تجلياتها، فلذلك ناداه بهذا الوادي. ونهاية هذا العالم هو الأفق الأعلى الذي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل على صورته { طغى } أي: ظهر بأنائيته، وذلك أن فرعون كان ذا نفس قوية حكيماً عالماً سلك وادي الأفعال وقطع بوادي الصفات واحتجب بأنائيته وانتحل صفات الربوبية ونسبها إلى نفسه وذلك تفرعنه وجبروته وطغيانه فكان ممن قال فيه صلى الله عليه وسلم:

« شرّ الناس من قامت القيامة عليه وهو حيّ »

لقيامه بنفسه وهواها في مقام توحيد الصفات وذلك من أقوى الحجب.

{ هل لك إلى أن تزكّى } بالفناء عن أنائيتك { وأهديك إلى } الوحدة الذاتية بالمعرفة الحقيقية { فتخشى } وتلين أنائيتك فتفنى.

{ فأراه الآية الكبرى } أي: الهوية الحقيقية بالتوحيد العلمي والهداية الحقانية فلم

يرها لقوة حجابه ورسوخ توهمه فكذبه في أنّ وراء ما بلغ من المقام رتبة { وعصى } أمره لتفرعنه وعتوه { ثم أدبر } عن مقام توحيد الصفات الذي هو فيه لذنب حاله وتوجه إلى مقام النفس بالكلية لعناده واستيلاء نفسه وشدة ظهورها بالدعوى { يسعى } في دفع موسى بالمكايد الشيطانية والحيل النفسانية فردّ عن جناب القدس مطروداً وازداد حجابه فتظاهر بقوله: { أنا ربّكم الأعلى } أو نازع الحق لشدة ظهور أنائيته رداء الكبرياء فقهر وقذف في النار ملعوناً كما قال تعالى:

« العظمة أزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار »

ويروى: قصمته، وذلك القهر هو معنى قوله: { فأخذه الله نكال الآخرة والأولى إنّ في ذلك لعبرة لمن يخشى } فيخشع وتلين نفسه وتنكسر فلا تظهر.

{ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ }

{ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلإِنسَانُ مَا سَعَىٰ }

{ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ }

{ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ } { وَآثَرَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا }

{ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ }

{ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ }

{ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ }

{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَٰهَا }

{ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَٰهَا } { إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَٰهَآ }

{ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَٰهَا }

{ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَٰهَا }

{ فإذا جاءت الطامّة الكبرى } أي: تجلى نور الوحدة الذاتية الذي يطمّ على كل شيء فيطمسه ويمحوه.

{ يوم يتذكر الإنسان } سعيه في الأطوار من مبدأ فطرته إلى فنائه وسلوكه في المقامات والدرجات حتى وصل إلى ما وصل فيشكره.

{ وبـرزت الجحيـم } أي: نـار الطبيعـة الآثاريـة { لمـن يـرى } ممـن بـصر بنـور اللـه وبـرز مـن الحجـاب للـه دون العمـي المحجوبـين الذيـن يحترقـون بنـاره ولا يرونـه، فيومئـذ يصـير النـاس في شـهوده قسـمين. { فأمـا مـن طغـا } أي: تعـدّى طـور الفطـرة الإنسـانية وجـاوز حـدّ العدالـة والشريعـة إلى الرتبـة البهيميـة أو السـبعية وأفـرط في تعدّيـه { وآثـر الحيـاة } الحسـيّة عـلى الحقيقيـة بمحبـة اللـذات السـفلية { فـإن الجحيم } مأواه ومرجعه.

{ وأمـا مـن خـاف مقـام ربّـه } بالترقـي إلى مقـام القلـب ومشـاهدة قيوميتـه تعـالى عـلى نفسـه { ونهـى النفـس } لخـوف عقابـه أو قهـره { عـن } هواهـا { فـإنّ الجنّـة } مـأواه عـلى حسـب درجاتـه { إلى ربـك منتهاهـا } أي: في أي شيء أنـت مـن علمهـا،

وذكرهـا إنمـا إلى ربـك ينتهـي علمهـا فـإن مـن عـرف القيامـة هـو الـذي انمحـى علمـه أولاً بعلمـه تعـالى ثـم فنيـت ذاتـه في ذاتـه فكيـف يعلمهـا ولا علـم لـه ولا ذات، فمـن أيـن أنـت وغـيرك مـن علمهـا بـل لا يعلمهـا إلا اللـه وحـده.

{ إنمـا أنـت منـذر مـن يخشـاها } لإيمانـه بهـا تقليـداً { لم يلبثـوا إلا عشـية أو ضحاهـا } أي: وقـت غـروب نـور الحـق في الأجسـاد أو وقـت طلوعـه مـن مغربـه،

أي: وقـت رؤيتهـم القيامـة بالفنـاء في الوحـدة تيقنـوا أن لم يكـن لهـم وجـود قـط إلاّ توهـماً باللبـث في عـالم الأجسـام والاحتجـاب بالحـس أو في عـالم الأرواح والاحتجـاب بالعقـل وهـما المـراد بقـول مـن قـال: خطوتـين وقـد وصلـت، أي: إذا جـزت هذيـن الكونـين فقـد وصلـت، واللـه أعلـم.